مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية
المجلد 41 العدد 4 (2025): 500- 518

Damascus University Journal of Educational and Psychological Sciences Vo. 41 No. 4 (2025): 500- 518

مفهوم الحرية في فلسفة هيجل وانعكاساتها على العملية التعليمية التعلمية

عائده وليد ديبو*[1]، محمود علي محمد[2]

[*1] طالبة دكتوراه، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة دمشق.
aydadibo@damascusuniversity.edu.sy
[2] أستاذ، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة دمشق.
mahmud.mohamad@damascuuniversity.edu.sy

الملخص:

هدف البحث إلى تحديد مفهوم الحرية في فلسفة هيجل، والتوصل إلى انعكاسات الحرية الهيجلية على العملية التعليمية التعلمية. ولتحقيق أهداف البحث استخدمت الباحثة منهج التحليل الفلسفي؛ وتوصل البحث إلى النتائج الآتية: الحرية في فلسفة هيجل مصدرها العقل ويشكِّلها العقل، وهي حرية أخلاقية وفردية أيْ تخصُّ الفرد وحده، وعلى الدولة والمجتمع المدني أن يكفلاها له. وحرية الروح في فلسفة هيجل ليست مفهوماً سلبياً أو لحظةً آنية عابرة فرضتها الظروف الراهنة، وليست حرية فرد واحد بعينه أو مجموعة من الأفراد، بل هي حرية الإنسان التي لا تتحقق إلا في أمد طويل عبر التاريخ. وأن حرية الذوات الفردية ليست منخرطةً في الوجود الواقعي فحسب بل في الثقافة وعبر التاريخ، وأن تاريخ العالم ليس سوى صراع من جانب الروح لكي تحقق غايتها، وتصل إلى المرحلة التي تكون فيها حرة، وذلك عندما تستحوذ على العالم. المسيحية حققت الحرية بحسب هيجل لأنها حلت التناقضات في العالم المادي والظواهر المادية من خلال تحليلها وحل التناقضات بينها مع التركيز على جوهرها بدلاً من شكلها. وأن الحرية موضوع بارز في فلسفة هيجل ذو آثار وانعكاسات على جميع الأطروحات الأخرى التي تناولها هيجل في فلسفته، ولذلك فقد انعكست الحرية الهيجلية على أدوار المعلم في جعله نموذجاً للمثالية الأخلاقية، وعلى أدوار المتعلم في جعله محور العملية التعليمية التعلمية، وعلى استراتيجيات التدريس في أساليب استخدامها وتطبيق خطواتها من قِبل المعلمين، وعلى استراتيجيات التدريس ذاتها، وانعكست الحرية الهيجلية على المناهج الدراسية في فلسفة بنائها ومحتواها وأساليب عرض المحتوى في الكتب الدراسية. وأن المناهج الدراسية في ضوء الحرية الهيجلية تهدف إلى تربية المواطن الصالح القادر على التفاعل مع المجتمع بوعي ومسؤولية، بحيث يُساهم في حركة تاريخية أوسع تتجاوز حدود التعليم الأكاديمي.

الكلمات المفتاحية: الحرية، فلسفة هيجل، انعكاسات الحرية الهيجلية على العملية التعليمية التعلمية.

تاريخ الإيداع: 2025/3/19
تاريخ القبول: 2025/2/17

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

ISSN: 2789-6390 (online)
https://journal.damascusuniversity.edu.sy

The role of career guidance by commercial secondary schools' principals in students' Career Decision Making

Aida Walid Dibo*[1], Mahmoud Ali Muhammad[2]

[1*]PhD student, Damascus University, College of Education, Department of Foundations of Education, aydadibo@damascusuniversity.edu.sy

[2.] Professor doctor, Damascus university, Faculty of Education, Department of Foundations of Education,
mahmud.mohamad@damascuuniversity.edu.sy

Abstract:

The research aimed to define the concept of freedom in Hegel's philosophy, and to reach the reflections of Hegelian freedom on the teaching and learning process. To achieve the research objectives, the researcher used the philosophical analysis method; The research reached the following results: Freedom in Hegel's philosophy originates from reason and is shaped by reason. It is a moral and individual freedom, meaning that it pertains to the individual alone, and the state and civil society must guarantee it for him. Freedom of the spirit in Hegel's philosophy is not a negative concept or a fleeting moment imposed by current circumstances, nor is it the freedom of a single individual or a group of individuals; rather, it is the freedom of man that is only achieved over a long period of time throughout history. The freedom of individual selves is not only involved in real existence, but also in culture and throughout history, and the history of the world is nothing but a struggle on the part of the spirit to achieve its goal and reach the stage in which it is free, when it takes over the world. Christianity achieved freedom according to Hegel because it resolved the contradictions in the material world and material phenomena by analyzing them and resolving the contradictions between them, focusing on their essence rather than their form. Freedom is a prominent topic in Hegel's philosophy, with implications and repercussions on all other theses that Hegel addressed in his philosophy. Therefore, Hegelian freedom was reflected in the roles of the teacher in making him a model of moral idealism, in the roles of the learner in making him the focus of the teaching-learning process, in teaching strategies in the methods of using them and applying their steps by teachers, and in the teaching strategies themselves. Hegelian freedom was reflected in the curricula in the philosophy of their construction, content, and methods of presenting the content in textbooks. The curricula, in light of Hegelian freedom, aim to educate a good citizen capable of interacting with society with awareness and responsibility, contributing to a broader historical movement that goes beyond the limits of academic education.

Key Words: Freedom, Hegel's philosophy, Hegelian freedom on the teaching and learning process.

Received: 19/3/2025
Accepted: 15/5/2025

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under
a CC **BY- NC-SA**

1- مقدمة البحث:

كيف يمكن للتربية أن تصبح أداة حقيقية لتحرير الإنسان من القيود الفكرية والاجتماعية؟ هذا السؤال كان في صميم الفلسفة المثالية، وخصوصاً في فلسفة الفيلسوف الألماني فريدريك هيجل (1770–1831)، التي جعلت من الحرية محوراً أساسياً لبناء الإنسان والمجتمع. فقد سعت الفلسفة المثالية منذ نشأتها إلى تقديم رؤى شاملة حول طبيعة الإنسان ومعنى وجوده وسبل تحقيق الحياة الفضلى، حيث اعتبرت العقل الأداة الأساسية لفهم العالم وإعادة تشكيله، والتربية الوسيلة الأهم لصقل الإنسان وتمكينه من التفاعل مع مجتمعه.

وقد برز هيجل من بين أعلام الفلسفة المثالية، برؤية فلسفية متفردة تمزج بين الفرد والمجتمع، وبين العقل والواقع، حيث عُدّ الإنسان في فلسفته كائناً عقلياً يسعى إلى تحقيق ذاته من خلال الحرية. وقد رأى هيجل أن الحرية ليست مجرد مفهوم فردي بل تجربة جماعية تتحقق في إطار المجتمع والدولة، وأن التربية تمثل الأداة الفعّالة التي تمكن الإنسان من إدراك حريته وتحقيقها عملياً (هيجل، 1996، 45). وفقاً لهذه الرؤية، تشكل الحرية جوهر التربية، حيث يُنظر إلى العملية التربوية باعتبارها وسيلة لإعداد الأفراد ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم، مدركين لذواتهم وقادرين على مواجهة تحديات الحياة بروح من المسؤولية والإبداع. (Armstrong, 2009, 103)

تتميز فلسفة هيجل بالجمع بين الذات الإنسانية والعوامل الخارجية المؤثرة فيها، مما أسهم في صياغة مفاهيم تربوية تُعنى بتطوير التفكير النقدي والإبداعي. ويرى هيجل أن التربية لا تهدف فقط إلى نقل المعارف، بل إلى تمكين الأفراد من فهم موقعهم في العالم وإطلاق إمكاناتهم لتحقيق ذواتهم ومجتمعاتهم. (Cook, 2007, 132). هذا البُعد التربوي يجعل فلسفة هيجل ذات صلة خاصة بالتحديات الراهنة في التعليم، مثل الاعتماد المفرط على التلقين وضعف القدرة على التفكير النقدي، مما يجعل من الضروري إعادة النظر في أساليب التربية بما يعزز حرية التفكير والإبداع.

لذا يهدف هذا البحث في ضوء هذه الرؤية، إلى تعميق الفهم حول مفهوم الحرية في فلسفة هيجل واستجلاء أبعاده وانعكاساته على العملية التعليمية التعلمية. حيث يسعى البحث إلى تقديم رؤية مستوحاة من فلسفة هيجل تسهم في تعزيز دور التربية كوسيلة لتحرير الإنسان وبناء مجتمع قائم على العدالة والمسؤولية. يكتسب هذا البحث أهمية خاصة في ظل الحاجة إلى أنظمة تعليمية قادرة على مواجهة تحديات العصر وإعداد أجيال تمتلك القدرة على التفكير الحر والإبداعي، بما ينعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع.

2- مشكلة البحث:

تُعَدُّ الحرية مفهوماً جوهرياً في الفلسفة المثالية، وخصوصاً في فلسفة هيجل، التي تنظر إلى الحرية بوصفها صيرورة عقلية واجتماعية، وليست مجرد استقلال فردي. فالحرية عند هيجل تتحقق من خلال تطور الوعي بالذات في سياق اجتماعي وثقافي، حيث تتفاعل الروح مع الدولة والمؤسسات لبناء وعي أعمق بالحرية. وفي هذا الإطار، يلعب التعليم دوراً محورياً في تكوين الإنسان الحر، إذ يمثل العملية التي من خلالها يكتسب الفرد وعيه بذاته وبعلاقته بالمجتمع، مما يتيح له ممارسة الحرية في شكلها الأسمى.

ورغم التقدم الذي شهدته الأنظمة التعليمية، لا تزال العديد من الممارسات التربوية محكومة بأساليب التلقين والنقل السلبي للمعرفة، مما يقوّض دور التعليم في تعزيز الحرية الفكرية التي أكدتها الفلسفة الهيجلية. فبدلاً من أن يكون التعليم عملية تحرر فكري، يتحول في كثير من الأحيان إلى أداة لضبط السلوك وتقييد التفكير النقدي، مما يثير التساؤل حول مدى انعكاس مفهوم الحرية الهيجلي على التربية والتعليم في العصر الحديث.

وفي هذا الصدد تناولت العديد من الدراسات السابقة مفهوم الحرية عند هيجل من زوايا متعددة، وساهمت في تقديم فهم أعمق لعلاقته بالتاريخ، والمجتمع، والتعليم. فقد تناولت **دراسة خلخال (2022)** العلاقة الجدلية بين الحرية والقانون، مؤكدةً أن القانون هو تجسيد للعقل الكلي الذي يحقق الحرية. وأن المثلث الجدلي (العقل، الحرية، القانون) يشكل أساس التاريخ والوعي الذاتي الداخلي. أما **دراسة بوساكوفا وبيكوفا (2021)** فقد سلطت الضوء على العلاقة بين التعليم والمجتمع المدني في فلسفة هيجل ونيثامر، مؤكدةً أن التعليم يجب أن يسعى إلى تطوير الأفراد بشكل متكامل، بحيث لا يكون مجرد عملية تلقين للمعلومات، بل وسيلة لإعدادهم للمشاركة الفاعلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وتشير الدراسة إلى أن التعليم يجب أن يحقق توازناً بين إعداد الأفراد للانخراط في المجتمع وتعزيز قدرتهم على التفكير النقدي والإبداعي، وهو ما يتفق مع رؤية هيجل حول العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع في سياق تحقيق الحرية. وناقشت **دراسة برينكمان (2021)** دور المدرسة كمؤسسة اجتماعية تسهم في تشكيل الوعي الجمعي للأفراد، مؤكدةً أن المدرسة ليست مجرد فضاء تعليمي، بل هي بيئة تربوية تؤدي دوراً حاسماً في بناء الهوية الفردية والجماعية. ووفقاً لهذه الدراسة، فإن التعليم في فلسفة هيجل ليس مجرد نقل للمعرفة، بل هو عملية ديناميكية تسمح بتحقيق الحرية من خلال التفاعل بين الفرد والمجتمع، مما يجعل المدرسة فضاءً لتحقيق الذات وإدراك الحرية كواقع اجتماعي.

أما **دراسة غوكسل (2021)** فقد قامت بالمقارنة بين فلسفتي كانط وهيجل حول الحرية، موضحةً أن هيجل تجاوز كانط برؤيته للدولة كضامنٍ لحرية الأفراد من خلال تحقيق الوعي الأخلاقي الجمعي. كما ناقشت **دراسة نيغ (2020)** ربط مفهوم الحرية عند هيجل بمفهوم الحياة، مؤكدةً أن الحرية هي الشرط الأساسي لتطور الوعي الذاتي لدى الأفراد. كما أكدت **دراسة برنال (2019)** البعد الثقافي في فلسفة هيجل التربوية، حيث ترى أن التعليم ليس مجرد عملية نقل للمعرفة، بل هو رحلة نحو تحقيق الذات، حيث يسعى الإنسان إلى اكتشاف معنى حياته وتطوير مهاراته وقدراته. وترى الدراسة أن تحقيق الحرية لا يتم إلا من خلال تنمية الوعي الذاتي، وهو ما يجعل التعليم عملية ضرورية لتمكين الأفراد من تحقيق استقلالهم الفكري والتفاعل بوعي مع محيطهم الثقافي والاجتماعي. أما **دراسة كيفيلا (2018)** فقد ناقشت دور المدرسة في فلسفة هيجل، مشيرةً إلى أن التعليم المؤسسي يعكس التحولات التي شهدها المجتمع الأوروبي أثناء انتقاله من الإقطاع إلى الحداثة. وفقاً لهذه الدراسة، فإن هيجل رأى أن الحرية لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن إطار مؤسساتي منظم، حيث يلعب التعليم دوراً حاسماً في إعداد الأفراد للمشاركة الفاعلة في المجتمع المدني. ومن هذا المنطلق، فإن تحقيق الحرية لا يكون مجرد قرار فردي، بل هو عملية اجتماعية تحدث من خلال التفاعل مع النظم والمؤسسات التعليمية التي تعزز التفكير النقدي والاستقلالية. كما تناولت **دراسة زوفكو (2018)** مفهوم هيجل في التعليم من منظور فكرته عن "الطبيعة الثانية"، مؤكدةً أن التعليم والثقافة يشكلان البنية الأساسية للحرية البشرية. إذ يرى هيجل أن البشر لا يولدون أحراراً بالكامل، بل يكتسبون حريتهم من خلال التعليم والتنشئة الاجتماعية. ومن خلال المؤسسات التعليمية، يتمكن الأفراد من تجاوز النزعات الطبيعية الفطرية والتحول إلى كائنات واعية قادرة على ممارسة الحرية بوعي ومسؤولية. أما **دراسة العرامي ومقشر (2018)** فقد سلطت الضوء على البعد الميتافيزيقي لمفهوم الحرية عند هيجل، مؤكدةً أن الحرية هي جوهر الروح وحقيقتها الوحيدة، وأن التاريخ ليس سوى مسار لنمو الوعي بالحرية. وهذا يتقاطع مع رؤية التعليم كعملية تؤدي إلى تحرير العقل وتطوير وعي الأفراد بأنفسهم وبالعالم من حولهم. وبهذا، فإن التعليم يمكن أن يكون انعكاساً لمسار الحرية التاريخي، حيث يتمكن الأفراد من تجاوز قيود الوعي المحدود والانخراط في عملية عقلية مستمرة لفهم حريتهم وتحقيقها. كما أكدت **دراسة محمد (2014)** على جدل الحرية والتاريخ عند هيجل، مبينةً أن الحرية ليست معطى ثابتاً، بل تتشكل من خلال تطور الوعي الذاتي للروح عبر التاريخ.

وركزت **دراسة محمد (1993)** على فلسفة التاريخ عند هيجل، موضحةً أن الحرية تتجسد عبر مراحل تاريخية متتابعة، حيث تمر الروح بمراحل مختلفة من الوعي بالحرية، بدءاً من المجتمعات الشرقية التي لم تعرف سوى حرية الحاكم المستبد، مروراً باليونان التي اعترفت بحرية بعض الأفراد، وصولاً إلى العالم الغربي حيث تحقق الوعي بأن الجميع أحرار. وتشير هذه الدراسة إلى أن تحقيق الحرية لا يتم في عزلة، بل ضمن سياق اجتماعي وثقافي متغير باستمرار، وهو ما يجعل التعليم أداة رئيسية في نقل هذه الفكرة إلى الأفراد. وفيما يتعلق بالعلاقة بين الحرية والتعليم، كشفت **دراسة هيكي (1988)** أن فلسفة هيجل التربوية لم تحظَ بالاهتمام الكافي، على الرغم من أنها تمثل امتداداً لفلسفته السياسية والاجتماعية. فقد أوضحت الدراسة أن هناك انحرافاً في فهم فلسفة هيجل التعليمية، حيث تم تصويره كعدو للفردانية ومدافع عن الاستبداد السياسي، بينما تؤكد قراءته الفلسفية العميقة أن الحرية الفردية والتنمية هما جوهر فلسفته التربوية. وترى الدراسة أن الهدف الأساسي للتعليم عند هيجل هو تمكين الأفراد من الحرية الذاتية في عالم موضوعي، عبر المشاركة الواعية في المؤسسات التعليمية والاجتماعية، مما يعزز قدرتهم على ممارسة الحرية داخل إطار المجتمع.

فعلى الرغم من تشابه هذا البحث مع الدراسات السابقة في اعتماده على فلسفة هيجل لفهم طبيعة الحرية، مع التركيز على أبعادها العقلية والتاريخية والاجتماعية. لكنه يتميز عنها بكونه تحليلاً فلسفياً معمقاً لمفهوم الحرية في سياقه التربوي، دون الاقتصار على الجوانب السياسية أو القانونية. كما يسعى إلى استكشاف الأسس الفلسفية التي تجعل الحرية عنصراً جوهرياً في العملية التعليمية، عبر تفكيك النصوص الهيجلية وتحليلها من منظور فلسفي دقيق. وبذلك، فإن هذا البحث لا يهدف إلى تقديم حلول تطبيقية مباشرة للأنظمة التعليمية، بل يسعى إلى بلورة إطار فلسفي يعمّق فهم الحرية كعملية عقلية وتربوية ضرورية لتكوين الإنسان الواعي والمستقل.

من خلال ما سبق، يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي: **مامفهوم الحرية في فلسفة هيجل وماهي انعكاساتها على العملية التعليمية التعلمية؟**

3- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

1- يساعد البحث في توضيح مفهوم الحرية عند هيجل، ويبرز أهميته في تطوير العملية التعليمية.

2- يساهم البحث في تعزيز التفكير النقدي والاستقلالية الفكرية، مما يساعد الطلاب على التحليل العميق.

3- يطرح البحث حلولاً لمشكلات التعليم التقليدي، ويسلط الضوء على أساليب تعزز الإبداع والحرية الفكرية.

4- يساعد البحث في ربط الحرية بالمجتمع من خلال توضيح دور المؤسسات التعليمية في تشكيل وعي الأفراد، ويسهم في بناء مجتمع قائم على المسؤولية.

5- يمكن أن يسهم البحث في إثراء الدراسات التربوية من خلال إضافة بعد فلسفي جديد، يساعد في تطوير مناهج تربوية تتماشى مع فكر هيجل في الحرية.

6- يساعد البحث في توجيه السياسات التعليمية من خلال تقديم رؤى تساعد في صياغة سياسات تعليمية تدعم حرية التفكير وتعزز دور الفلسفة في المناهج.

4-أهداف البحث:

سعى البحث إلى تعرّف الآتي:

1- مفهوم الحرية في فلسفة هيجل.

2- خصائص الحرية الهيجلية.

3- العلاقة بين الروح والحرية والتاريخ في فلسفة هيجل.

4- الجدلية الهيجلية (الديالكتيك الهيجلي) وعلاقتها بالحرية.

5- انعكاسات الحرية الهيجلية على العملية التعليمية التعلمية.

5- أسئلة البحث

سعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- مامفهوم الحرية في فلسفة هيجل؟

2- ماخصائص الحرية الهيجلية؟

3- ماالعلاقة بين الروح والحرية والتاريخ في فلسفة هيجل؟

4- ماالجدلية الهيجلية (الديالكتيك الهيجلي) وعلاقتها بالحرية؟

5- ماهي انعكاسات الحرية الهيجلية على العملية التعليمية التعلمية؟

6- منهج البحث:

استخدمت الباحثة منهج التحليل الفلسفي الذي يقوم على تقسيم المفاهيم الفكرية في الفكر الفلسفي إلى مفاهيمَ أبسط، والتوصل إلى مجموعة من الآراء بناءً على استنتاج المادة الفكرية واستنباط مجموعة من التصورات عنها. (محمد، 2022)

حيث اعتمدت الباحثة منهج التحليل الفلسفي الكيفي للأفكار، من خلال تحليل وتفكيك مفهوم الحرية كما قدمه هيجل في فلسفته. وتفسير العلاقة بين الحرية والجدلية الهيجلية. وتوضيح انعكاسات مفهوم الحرية على التعليم. وقد اعتمدت الباحثة هذا المنهج لأن فلسفة هيجل تعتمد على نظام مفاهيمي معقد يتطلب التحليل لفهم معانيه العميقة. كما يساعد المنهج التحليلي في تفكيك المفاهيم المجردة مثل الحرية والوعي والتعليم وإعادة بنائها بشكل يمكن تطبيقه على الواقع التربوي.

7- حدود البحث:

اقتصر البحث على الحدود الآتية:

1-الحدود العلمية: اقتصرت حدود البحث العلمية على:

- **الحد الفلسفي:** حيث تناول البحث مفهوم الحرية من منظور فلسفي بحت، مستنداً إلى فلسفة هيجل المثالية الجدلية. وركز على تحليل الأفكار الفلسفية المتعلقة بالحرية والوعي والتاريخ والروح وفقاً للمنهج الهيجلي.

حيث يندرج البحث ضمن مجال الفلسفة التربوية، مما يعني أنه ليس بحثاً تربوياً تطبيقياً بل يعتمد على الأسس الفلسفية لفهم الظواهر التربوية.

- **الحد التربوي:** اقتصر الحد التربوي للبحث على تسليط الضوء على انعكاسات الحرية في فلسفة هيجل على التربية والتعليم. حيث ناقش دور المؤسسات التعليمية في تعزيز الحرية الفكرية من خلال تنمية التفكير النقدي والاستقلالية الفكرية لدى المتعلمين. كما ركز على العلاقة بين التعليم، الوعي، الحرية، والتنشئة الاجتماعية وفق الرؤية الهيجلية.

2- **الحد الزماني:** أُجري البحث في الفترة الممتدة بين 20 / 2 / 2024 إلى 1 / 6 / 2024

8- عينة البحث:

تم البحث والتنقيب في أهم كتب ومؤلفات هيجل لتحقيق الأهداف المرجوة من البحث، وهي عينة قصدية للاستفادة قدر الإمكان من كتب هيجل. فقد رأت الباحثة أن تختار عينة أساسية من أربعة كتب ركزت على مفهوم الحرية في فلسفة هيجل وهي: 1. العقل في التاريخ: 2007. 2. أصول فلسفة الحق: 1996. 3. علم ظهور العقل: 2001. 4. فينومينولوجيا الروح: 2006. وقد قامت الباحثة بالتحليل الكيفي لنصوصهم المتصلة بمفهوم الحرية، كما عادت الباحثة إلى المؤلفات والمراجع التي لها صلة بمفهوم الحرية في فلسفة هيجل.

9- مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

1-الحرية في فلسفة هيجل (Freedom in Hegel's Philosophy): هي إشباع الرغبات والحاجات، وهي في نفس الوقت القدرة على الاختيار دون إجبار الآخرين أو رغباتنا الطبيعية أو الظروف الاجتماعية. ولكن هذا الاختيار يجب أن يكون عقلاني. (هيجل، 2001، 152)

وتعرّفها الباحثة إجرائياً بأنها: وعي الذات بذاتها عبر تطورها في المجتمع والتاريخ، حيث لا تتحقق إلا داخل إطار عقلاني يوفق بين الفردي والجماعي. فهي ليست مجرد استقلال، بل عملية جدلية تنضج من خلال الصراع والتطور الفكري. وفي المجال التعليمي، تعني الحرية تمكين المتعلم من تجاوز الوعي المحدود نحو وعي أعمق ومسؤول، يعكس اندماجه الواعي في تطور الفكر والمجتمع.

2- الفلسفة (Philosophy): لفظة يونانية مركبة في الأصل من فيلا أي محبة، وصوفيا أي الحكمة، أي أنها محبة الحكمة، وتستخدم كلمة الفلسفة في العصر الحديث للإشارة إلى السعي وراء المعرفة بخصوص مسائل جوهرية في حياة الإنسان ومنها الموت والحياة والواقع والمعاني الحقيقية، وتستخدم الكلمة ذاتها للإشارة إلى ما أنتجه كبار الفلاسفة من أعمال مشتركة. (صليبا، 1982، 160).

وتعرّفها الباحثة إجرائياً بأنها: عملية عقلية نقدية تسعى إلى تحليل المفاهيم المجردة، مثل الحرية، وفهم أبعادها المتغيرة في التاريخ والفكر الإنساني. فهي منهج للتأمل العميق والاستدلال المنطقي، يهدف إلى تفكيك البُنى الفكرية السائدة وإعادة تشكيلها وفق أسس عقلانية. وتتجلى الفلسفة في المجال التعليمي كأداة تحررية تعزز التفكير النقدي، وتُمكّن المتعلم من تجاوز المعارف التلقينية إلى بناء وعي مستقل وفاعل، قادر على ممارسة الحرية بوصفها مسؤولية أخلاقية واجتماعية.

3- فلسفة هيجل (Hegel's philosophy): تُعرّف فلسفة هيجل بأنها مثالية وواقعية في آن واحد لأنها وإن تكن تعلن أن الفكر أسبق من الوجود، بل تعلن أن الفكر في حقيقة الأمر هو كل شيء، إلا أنها تعترف بأن هذا الفكر قد وجد نفسه في عالم الحقائق الواقعة التي لايكون لها معنى لو فصلناها عن الفكر، وقد وضع ثلاثة أقسام للفلسفة (المنطق وفلسفة الطبيعة وفلسفة العقل). (عبدالسلام، 2017، 166).

وتعرّفها الباحثة إجرائياً بأنها: منهج جدلي يرى الحرية كعملية تاريخية تتحقق عبر الوعي والتطور الاجتماعي، وليست مجرد استقلال فردي. فهي تؤكد أن التعليم أداة أساسية لصقل الفكر، حيث يقود المتعلم من الوعي المحدود إلى وعي أرقى وأكثر مسؤولية. وبذلك، تشكل فلسفة هيجل إطاراً لتحليل دور التعليم في تمكين الأفراد من إدراك حريتهم ضمن سياق المجتمع والدولة.

4- العملية التعليمية التعلمية (The Teaching-Learning Process): هي مجموعة من الإجراءات والنشاطات التي تكون داخل الفصل الدراسي والغاية منها هو اكساب المتعلمين معرفة نظرية أو مهارة عملية أو اتجاهات إيجابية، إذ هي نظام معرفي يتكون من مدخلات ومعالجة ومخرجات، ويقصد بالمدخلات كل مايتعلق بالبرنامج الدراسي والكتاب المدرسي، وبالمعالجة العملية التنسيقية لتنظيم المعلومات فهمها وتفسيرها وإيجاد العلاقة بينها وربطها بالمعرفة السابقة، أما المخرجات فتتمثل في إعداد طلبة أكفاء متعلمين. (خالدية ونصيرة، 2020، 11).

وتعرّفها الباحثة إجرائياً: بأنها تفاعل متبادل بين المعلم والمتعلم يتم من خلاله نقل وتبادل المعرفة، وتنمية القدرات الفكرية والنقدية، بهدف تفعيل دور المتعلم في بناء فهمه الذاتي والجماعي. وفي إطار فلسفة هيجل، تُعتبر هذه العملية مساراً ينمو فيه وعي المتعلم بشكل جدلي، حيث يمر بتطور تدريجي من الوعي الفردي المحدود إلى الوعي الجماعي العقلاني المسؤول، وبالتالي تمكينه من إدراك حريته في سياق المجتمع والدولة.

10- الإطار النظري:

1- مفهوم الحرية لدى هيجل:

تعد الحرية واحدة من أبرز المفاهيم الفلسفية التي شغلت الفكر البشري منذ القِدم، حيث ارتبطت بتطور المجتمعات وتشكُّل الأنظمة السياسية والأخلاقية. غير أن الفلاسفة اختلفوا في تعريفها وحدودها، فمنهم من نظر إليها بوصفها حقاً طبيعياً فردياً، ومنهم من ربطها بإطار الجماعة والقوانين المنظمة للحياة الاجتماعية. في هذا السياق، قدم الفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدريش هيجل تصوراً متكاملاً للحرية، جعل منها جوهر الفلسفة المثالية وجدلية الوعي والتاريخ، مؤكداً على أنها ليست مجرد اختيار فردي، بل تجربة عقلية تتحقق ضمن المجتمع والدولة.

فقد حدد هيجل مفهوم الحرية بمقولة أنطولوجية؛ وتعني أن يكون للموجود ذات تحدد حريته، ولا يستسلم للظروف الخارجية، ويحول الواقعية الحادثة إلى واقعية حقيقية حتى يشكل البناء الباطن للوجود كله، وتفسير ذلك أن الفكر الجدلي يبدأ بالتجربة التي تدرك العالم الحر، فالفكر لا يتطابق مع الواقع إلا عندما يفهم الواقع وبنائه ويستبعد منه التناقض، وهنا يؤدي مبدأ الجدل إلى فهم الواقع الحقيقي الذي يبين ما يكون عليه الأشياء في حقيقتها (ماركيوز، 1979، 19).

والحرية عند هيجل لا وجود لها خارج الجماعة، أي خارج العقل، أما الحرية التي تقوم على الخيارات الفردية والقناعات الذاتية المنغمسة في نفسها، فإنها تعتبر حرية مضادة للعقل، وإرادة مغايرة للحق، ولا يمكن القبول بها (الشيخ، 2008، 294).

وأما عند هيجل في حالة عدم معرفة الحرية فإنها تباشر نفسها بطريقة عمياء ويضرب هيجل مثالاً أنه في أول التاريخ البشري كانت الحرية تتصور نفسها شيئاً فشيئاً في صور شتى، وتعيش أسيرة الوجود المغلف، ثم أخذت تتصور نفسها في صور متعددة، وتعبر عن نفسها بوجودها العميق (الديدى، 1970، 62-63). إذ إن هيجل فيلسوف الحرية وهذا على خلاف ما هو شائع عنه، إذ يظهر أحياناً بأنه ضد الحرية الفردية، وأحياناً أخرى بأنه محافظ يدافع عن الأنظمة القائمة.

لكن هذه الحرية التي يدافع عنها هيجل والتي يجعل من التاريخ البشري مسرحاً لتجسيدها هي حركة ذات منطلقات دينية من جهة، ووسيلة تحققها هي الدولة من جهة أخرى، والواسطة التي تسمح بفهم هذه الحقيقة من جهة ثالثة (مختار، 2009).

يتضح من خلال ماسبق أن الحرية عند هيجل ليست مجرد حالة ذاتية، بل هي سيرورة تاريخية تتطور عبر الزمن، مما يعني أن الإنسان لا يولد حراً بالفطرة، وإنما يكتسب حريته من خلال وعيه بالعالم المحيط به ومن خلال التفاعل مع الدولة والمجتمع. وهنا تتجلى رؤية هيجل الجدلية، حيث يرى أن الحرية لا تتحقق إلا ضمن النظام القانوني والاجتماعي الذي يضع حدوداً تحافظ على التوازن بين الفرد والجماعة. هذه الرؤية تضع هيجل في موقع وسط بين الفلاسفة الليبراليين الذين يؤمنون بالحرية الفردية المطلقة، وبين الفلاسفة السلطويين الذين يرون في الدولة المرجعية الوحيدة للحرية.

ولذلك ترى الباحثة أنَّ الحرية في فلسفة هيجل مصدرها العقل ويشكِّلها العقل، وهي حرية أخلاقية وفردية أيْ تخصُّ الفرد وحده، وعلى الدولة والمجتمع المدني أن يكفلها له. فالمسؤولية تقع على عاتق المؤسسات السياسية والاجتماعية لضمان تحقيق هذه الحرية، ليس كامتياز ممنوح، وإنما كضرورة تفرضها طبيعة الإنسان العاقل والمفكر.

2- العلاقة بين الروح والحرية والتاريخ عند هيجل:

تعد العلاقة بين الروح والحرية والتاريخ من أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيداً وتشابكاً في الفكر الإنساني، حيث شكلت محوراً رئيسياً في نظريات الفلاسفة عبر العصور. غير أن هيجل، بمقولاته الجدلية العميقة، أعاد صياغة هذه العلاقة بطريقة غير مسبوقة، حيث اعتبر أن الروح ليست مجرد كيان ساكن، بل هي جوهر متحرك يسعى إلى تحقيق حريته عبر التاريخ. فالحرية ليست حالة عرضية، بل هي الغاية الكبرى للروح، والتي لا تتحقق إلا من خلال مسار تاريخي طويل يعبر عن صراعها المستمر مع الضرورة. لذا لا يمكن فصل الروح عن الحرية أو عن التاريخ، فالتاريخ ليس سوى المسرح الذي تكشف فيه الروح عن ذاتها، وتحقق حريتها عبر وعيها بذاتها وتفاعلها مع الواقع المتغير.

فالحرية جوهر الروح، وكل صفات الروح لا توجد إلا بوساطة الحرية، وهي كلها ليست إلا وسيلة لبلوغ الحرية. فكلها تسعى إلى الحرية، وكلها تؤدي إليها وحدها. وعلى المسرح الذي تشاهد الروح عليه التاريخ الكلي، تكشف الروح عن نفسها في حقيقتها الأكثر عينية. (هيجل، 2007، 86).

بتلك المقدمات يضعنا هيجل مباشرة وبشكل واضح وصريح أمام محاكمته الفلسفية لطبيعة العلاقة بين الروح والحرية والتاريخ، وهي علاقة تكشف عن أن الحرية المقصودة ليست مجرد فكرة يمتلكها الذهن عن طبائع الأشياء، وليست ذاك النوع التأملي من الأفكار التي تبقى مجردة وفي حدود التصور النظري، ولا يمكن لها أن تنفذ إلى الواقع المتحقق فعال، وإنما هي الحقيقة الوحيدة للروح القائمة فيها منذ البدء، وهي الشرط اللازم لتحقيقها فعال، ولامتلاكها الوعي الذاتي بذاتها على مراحل التاريخ كلها (فيصل، 2023).

وبحسب العرامي ومقشر (2018) تكشف حرية الروح لدى هيجل عن الآتي:

1- إن أقصى ما يصل إليه العقل أن الحرية عين الوجود للذات، وأن الروح وعي بالذات، وأنها هي ذاتها موضوع هذا الوعي، وموجودة في ذاتها ولذاتها، والوجود في الذات يعد الشرط اللازم لامتلاك الحرية ولحياتها فعال، غير أن ما يعتمد في وجوده على شيء آخر ذاته هو بالضرورة وفقاً للرؤية الهيجلية تابع لهذا الآخر وليس حراً. ولا بد أن يحال وجوده إلى ذلك الآخر، وعلى العكس من ذلك فهو حر حين يعتمد وجوده على ذاته، والروح ما يوجد مركزه في ذاته، أيْ إنها توجد في ذاتها وبذاتها، في حين أن المادة ماهية تقع خارجها لذا فإن الروح وجود في ذاته، وتلك بعينها الحرية.

2- الحرية هي القوة المحركة الكامنة في أعماق الوجود، وعملية الوجود هذه نفسها ليست في عالم حر، إنما هي السلب المستمر لها الذي يهدد بإنكار الحرية، الأمر الذي تضطلع به الروح ذاتها، والتي تسعى إلى امتلاكه وعلى مجرى التاريخ البشري كله، وبالتدريج تعمل على تحقيقه، لأن تاريخ العالم ليس إلا تقدم الوعي بالحرية.

3- إن امتلاك الروح الوعي الذاتي بذاتها، يكشف أن حقيقتها قائمة في الفعل، وفي الخلق والإبداع. وفي قدرة الوعي الذاتي على ترجمة مضمونه إلى موضوع لذاته. ومن ثم تعرف ذاته، فيما يقوم هو ذاته بوضعه باعتباره ماهية له، ذلك أن الحرية ليست سوى معرفة وإرادة الموضوعات الجوهرية، وإنتاج واقع حقيقي يطابقها، وأن وعي الروح بذاتها ينتج الذات وينتج عاملها. والوعي الذاتي يتحول إلى قوة إيجابية فعالة، تنقل مركز العالم من الموضوع إلى الذات، وتجعل الموضوع تابعاً للذات، فتجعل الذات مكتفية بذاتها.

4- إن امتلاك الوعي الذاتي شرط امتلاك الحرية، بل هو الحرية نفسها، وإن كانت الحرية على الإجمال هي الشرط لوجود الروح وحدها ولذلك فإن تحقيق الروح للوعي الذاتي هو شرط وجود الحرية وشرط قيامها، إلا أن امتلاك الروح لذلك الضرب من الوعي هو وحده ما يمكنها من تحقيق ذاتها الحرة ، ومن تشييد عاملها وتشكيله أو وضعه، ومن ثم فهي حين تتصور ذلك العالم فإنها تتصوره على أنه حضورها الخاص وحقيقتها الخاصة، فتتأمل نفسها فيه بوصفها وجوداً متحققاً بالفعل، وذلك لأنها لن تجد فيه إلا وسائل نموها وارتقائها عبر تاريخها، وذلك ما يجعل المضمون الحقيقي للتاريخ بوصفه عرضاً للروح ومسرحاً لنشاطها الخلاق، وهو بالمحصلة تحقيق الوعي الذاتي بالحرية.

5- إن الروح تقوم وتحيا على العمل وفق معطيات وعيها الذاتي الكامل بذاتها. وبقدرتها على خلق هذا المعطى، وأن العمل هو الذي يسمح للوعي الذاتي بالسيطرة على الوجود الموضوعي، وعلى التحكم في جوهر الحياة، وفرض الذات المتضمنة في صميم الوعي على طبيعة الوجود ذاته. ما يعني أن المرء لا يستطيع معرفة الحرية إلا بامتلاكها، ومن ثم بترجمة ذلك إلى سلوك يقوم به هو ذاته، كاشفاً عن أن علاقة الذات بموضوعها لا تتحقق بشكلٍ فعال إلا عبر تلك العملية الخالقة التي تنتج فيها الروح ذاتها، وتحققها في ضوء وعيها الذاتي لذاتها، ذلك أن العقل أو الفكرة العقلية عن الشيء هو واقع العالم وممكناته، وهذا ما يجعل التقدم في سبيل امتلاك الوعي هو في الوقت نفسه تعبير تحقيقٍ أعلى للعقل والحرية معاً.

6- تتخذ المشكلة في فلسفة هيجل شكل الوحدة بين الحرية والضرورة، إذ ينظر إلى المسار الباطني المجرد للروح على أنه ضرورة، وينظر إلى نفسه في الإرادة الواعية للبشر بوصفه مصلحتهم على أنه ينتمي إلى مجال الحرية.

7- إن الوجود الذاتي الحر المستقل عبر التاريخ ينبغي أن ينظر إليه بدوره على أنه المذبح الذي تضحى عليه سعادة الشعوب وحكمة الدول، وفضائل الأفراد. ذلك أن الحرية في ذاتها الهدف الذي تريد الروح بلوغه والغاية الوحيدة لها. وهذه النتيجة هي الغاية الوحيدة التي يستهدفها باستمرار مسار التاريخ الكلي، وهي الغاية التي بذلت وتبذل من أجلها التضحيات كلها على مذبح الأرض الواسع طوال العصور التاريخية الماضية. إنها قطب السكون الوحيد الذي ترى نفسها متحققة وموجودة بالفعل فيه، وهي قطب الظروف والحوادث والسكون الوحيد وسط تغير. (العرامي ومقشر، 2018، 11-13).

يتضح من الطرح الهيجلي أن الحرية لا يمكن أن تكون معطى جاهزاً أو هبة تُمنح، بل هي عملية ديناميكية تتجلى في جدلية الفكر والوجود. فالروح، وفقاً لهيجل، تتطور عبر التاريخ، وهي في سعيها لتحقيق ذاتها تمر بمراحل متعددة من الوعي الذاتي، تتصارع خلالها مع الضرورة حتى تصل إلى مرحلة التحرر الكامل. وبذلك، تصبح الحرية هي جوهر الوجود ذاته، حيث يتموضع الإنسان داخل تاريخه ليكون جزءاً فاعلاً فيه وليس مجرد متلقٍ سلبي.

ترى الباحثة مما سبق عرضه أن حرية الروح ليست مفهوماً سلبياً أو لحظةً آنية عابرة فرضتها الظروف الراهنة، وليست حرية فرد واحد بعينه أو مجموعة من الأفراد، بل هي حرية الإنسان التي لا تتحقق إلا في أمد طويل عبر التاريخ. وأن حرية الذوات الفردية ليست منخرطة في الوجود الواقعي فحسب بل في الثقافة وعبر التاريخ، وأن تاريخ العالم ليس سوى صراع من جانب الروح لكي تحقق غايتها، وتصل إلى المرحلة التي تكون فيها حرة، وذلك عندما تستحوذ على العالم.

3- الحرية عبر العصور في فلسفة هيجل:

تعد الحرية من أبرز المفاهيم الفلسفية التي استحوذت على اهتمام المفكرين عبر العصور، وقد تناولها هيجل بشكل خاص من خلال رؤيته الديالكتيكية. فبالنسبة له، لا تعتبر الحرية مجرد حق فردي ثابت، بل هي عملية تطورية مرتبطة بالصراع والتناقضات داخل المجتمع والتاريخ. حيث يربط هيجل بين الحرية والمؤسسات التي تضمن استمراريتها وتنميتها، معتبراً أن التقدم في الوعي بالحرية يتحقق من خلال التفاعل بين الأفراد والمجتمع. كما رأى أن المسيحية قدمت رؤية جديدة للحرية من خلال تجسيدها في شخصية السيد المسيح، مما أتاح للفرد وعياً ذاتياً دينياً يتجاوز الحدود المادية.

فقد رأى هيجل أن الحرية متغيرة ومتطورة وفق قانون الديالكتيك؛ لأن هدف الحرية ليس فقط تحققها بل استمرارها بواسطة المؤسسات والأنظمة التي تخضع للعقل، ولذلك فقد اتفق هيجل مع مفكري عصر التنوير أمثال فولتير وديدرو في إن الثورة الفرنسية بداية أول حدث تاريخي أكد على حقوق وحريات الأفراد وربطها بواجباتهم (خلخال، 2022، 269).

وأطلق هيجل على الحرية التي تسمح للأفراد بالتطور الحرية الفردية المادية، لأنه رأى أن الإمبراطورية الرومانية التي أقرت بالحرية الفردية كانت دائماً في صراع على السلطة، ولذلك فإن العالم الروماني عالم سعيد بحسب هيجل، وفسر هيجل ظهور الرواقية وتركيزها على الفردية والانزواء بالعجز الذي شعر به الفرد آنذاك في مواجهة السلطة.

ورأى هيجل أنه في ظل الديانة المسيحية تمتع البشر بالحرية بشكلٍ أكبر؛ لأنه بحسب المسيحية فإن البشر يحيون في عالم طبيعي يمنح أفراده الحرية، ولأنها تجسدت في شخصية السيد المسيح عليه السلام الذي حقق لدى أتباعه الوعي الذاتي الديني الذي يتشكل بواسطة قوى داخلية تحول العالم الخارجي الطبيعي إلى عالم ذاتي للفرد (أنوود، 2010، 206). وقد عارضت المسيحية العبودية فكل شخص من حقه أن يتمتع بالقيم نفسها التي وهبتها الطبيعة للجميع، وأحلت الأخلاق القائمة على الوازع الديني بدلاً من الأخلاق العرفية في العالم الروماني واليوناني (خلخال، 2022، 273).

يتضح مما سبق أن الحرية عند هيجل ليست ثابتة بل متطورة، حيث يعبر عن هذه الفكرة عبر قانون الديالكتيك الذي يتعامل مع الحرية كعملية مستمرة. حيث يبرز مفهوم الحرية الفردية المادية التي تعتبر غير مكتملة بدون الهياكل الاجتماعية التي تنظمها وتوجهها. كما يربط هيجل بين الحرية والوعي الذاتي، وهو يرى أن الأديان مثل المسيحية ساهمت في تعزيز هذه الفكرة من خلال تجسيدها في شخصية المسيح، مما مهد الطريق لتحرر الأفراد. وهو يشير إلى أن الحرية لا تتجسد إلا عندما تتناغم مع قوى داخلية وعوامل اجتماعية تشكل الإنسان وتوجهه في سياق معين. وهذا التفاعل بين الحرية الفردية والمسؤولية الاجتماعية هو ما يميز تطور الفكر الهيجلي.

ترى الباحثة أن هيجل يقدم رؤية عميقة للحرية تتجاوز الفهم التقليدي لها كمجرد تحرر من القيود. فهو يرى أن الحرية الحقيقية تأتي من التفاعل مع المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تمنح الفرد سياقاً ديناميكياً لتحقيق ذاته. ففكرة أن الحرية ليست غاية ولكن عملية مستمرة توفر مساحة للتطور، تجعل هذا الفكر أكثر قرباً إلى الواقع الاجتماعي المعاصر حيث تبقى التحديات المتعلقة بالحرية متجددة.

4- جدلية هيجل وارتباطها بالحرية:

تمثل فكرة الحرية عند هيجل جوهر فلسفته، حيث يراها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالروح البشرية. هيجل لا يتصور الحرية كحق فردي فقط، بل كعملية تتشكل من خلال تفاعل الأفراد مع مؤسسات الدولة والمجتمع، مما يعكس تطور الوعي الذاتي الجماعي. عبر جدليته المعروفة، يتعامل هيجل مع الحرية كحالة متطورة يجب أن تتوازن مع الواجبات والمسؤوليات، وبذلك يصبح للفرد دور في تكامل المجتمع داخل إطار الدولة. فالحرية، وفقاً لهيجل، ليست مجرد انفلات من القيود، بل هي غاية تتطلب تناغماً بين الأهداف الفردية والعامة في سياق عقلاني يضمن العدالة والمساواة.

فقد رأى هيجل أن الروح مرتبطة بالحرية وهي الحقيقة الوحيدة للروح والذي يكشف عن الروح هو الحرية، لأن الروح تنطوي على معنيين هما: أنا أعرف، وماذا أعرف، والفاصل الحقيقي الذي يؤكد مدى ارتباط الحرية بالروح ويتجسد بالوعي وإلا أصبحت الحرية طغيان بسبب تصادم وفساد الغايات اللامتناهية، ولذلك يجب إيجاد نوع من التوافق للغاية، وماهيتها وبين الغايات الأخرى بقالب واسع أطلق عليه الحرية (خلخال، 2022، 276).

وعن طريق الحرية توجد روح الدولة؛ لأنَّ الوعي يتجسد فيها ويدخل ضمن نطاقها العقل، وتمثل صورة للحرية، والتي يدخل العقل إطاراً منظماً لها، ويقسم هيجل الروح إلى ثلاث أقسام هي:

1- الروح الطبيعية (الأسرة).

2- الروح الظاهرية (المجتمع المدني)

3- الروح الكلية (الدولة).

وإن تركيز هيجل على الحرية يعود إلى أنه يراها سبيل تحقيق العدالة بواسطة الدولة التي تجسد الروح الكلية العقلانية المنظمة للحرية والمؤطرة للعقل (هيجل، 2001، 228). وحذَّر هيجل من الحرية الشكلية التي سماها الحرية المجردة، أي الحرية التي لا تعبر عن مضمونها، وتعكس عدم النضوج الفكري للوعي (هيجل، 2006، 17). وفيما يتعلق بالحرية الشكلية رأى هيجل أننا لسنا أحراراً عندما نتصرف بدافع تحقيق رغبات فطرية أو اجتماعية، لأن الحرية يمكن أن نعثر عليها فيما هو كوني، وقد رأى هيجل أن حركات الإصلاح الديني المسيحية انبثقت عنها حرية كونيةٌ انطلقت من واجبات الفرد. وقد ربط هيجل الحرية بالواجب مستنداً إلى مقولة إيمانويل كانط: "عند القيام بواجبي أكون مستقلاً وحراً". (Stace, 2005, 115).

ورأى هيجل أنَّ الجمع بين إشباع الحاجات والحرية هو أمر طبيعي ويتوافق مع الطبيعة، وأن عملية بناء الذات للحرية بواسطة الإرادة صعبة شاقة محمولة بلحظات بائسة عبر التاريخ، لأن الوعي الذاتي بالحرية يتطلب توفر القيم وفق جميع الأشكال الأخلاقية الاجتماعية، وبالتالي فإنَّ الحرية تدل على سيادة الشخص على عالم الأشياء والمادة. ورأى هيجل أن الحرية الباطنية ليست إلا مرحلة انتقالية في عملية تحقيق الحرية الخارجية، ويمكن القول أنَّ الاتجاه إلى إلغاء عالم الحرية الباطن هو استباق لتلك المرحلة في تطور المجتمع، التي لا تعود فيها عملية تحويل القيم إلى العالم الباطن كافية بوصفها وسيلة للحد من مطالب الأفراد،

وأن الحرية الباطنية تحافظ على خصوصية الفرد التي لا تستطيع أيُّ سلطةٍ أنْ تتدخل فيها. وقد امتدت أفكار هيجل حول الحرية إلى حد توصله إلى القوة الخفية لوقت العمل، واكتشاف أن الفارق بين العبيد في العصور القديمة وبين العامل الحر يمكن التعبير عنه بكمية العمل التي يمنحها العامل لربِّ العمل (خلخال، 2022، 279).

يتضح مما سبق أن فلسفة هيجل تضع الحرية في إطار اجتماعي وعقلي يربط الفرد بمسؤولياته تجاه المجتمع. ولذلك، نجد أن هيجل يحذر من الحرية الشكلية أو المجردة التي لا تعبر عن مضمونها العميق. وفقاً لذلك، يصبح إشباع الحاجات الشخصية غير كافٍ لتحقيق الحرية إذا لم يرتبط بالواجبات الكونية التي تعكس الوعي الأخلاقي الجماعي. حيث تعكس فلسفته رؤية معقدة للعلاقات الإنسانية التي لا تكتفي بالنظرة السطحية للحرية، بل تدمج بين الفرد والمجتمع في إطار تطوري مستمر.

ترى الباحثة أن هيجل يعكس في مفهومه للحرية مدى تعقيد العلاقة بين الفرد والمجتمع. فهو لا يراها مجرد تحرر من القيود، بل هو فهم أعمق يدمج الوعي الفردي مع العقل الجماعي للمجتمع. فالحرية التي تحدث عنها ليست غاية فردية بل عملية مستمرة تتطلب مسؤولية في تحقيق التوازن بين الرغبات الشخصية واحتياجات الجماعة.

وأيضاً ترى الباحثة أن الحرية موضوع بارز في فلسفة هيجل ذو آثار وانعكاسات على جميع الأطروحات الأخرى التي تناولها هيجل في فلسفته.

5- انعكاسات الحرية الهيجلية على العملية التعليمية التعلمية:

مما سبق عرضه واستنتاجه ترى الباحثة أنَّ لمفهوم الحرية الهيجلية انعكاسات على أدوار المعلم والمتعلم واستراتيجيات التدريس والمناهج الدراسية في الوقت الحالي، وفيما يلي تستعرض الباحثة هذه الانعكاسات:

5-1- انعكاسات الحرية الهيجلية على أدوار المعلم:

تفرض الحرية الهيجلية على المعلم دوراً محورياً في تحقيق الحرية الفردية داخل الجماعة المتعلمة. ووفقاً لهذا الفكر الفلسفي، يُعتبر المعلم هو تجسيد المثالية الأخلاقية في العملية التعليمية. وتحقيق حرية المتعلم ليس فقط من خلال التعليم الأكاديمي، بل يتطلب كذلك أن يكون المعلم مرجعاً في نقل الإرادة الإلهية أو "العقل الكلي" إلى الطلاب. وبهذا، يصبح المعلم حلقة وصل بين المتعلم والمجتمع المدرسي، حيث يعين على بناء الوعي الأخلاقي لدى المتعلمين ويُرشدهم لتحقيق أهدافهم الشخصية ضمن الإطار الأخلاقي والاجتماعي الأوسع.

فمن خلال الحرية الهيجلية، يقع على عاتق المعلم مسؤولية توجيه المتعلم نحو تحقيق حريته الشخصية من خلال تحقيق المصلحة العامة للمجتمع المدرسي، وتنمية روح المسؤولية الاجتماعية لدى المتعلم. وهذا يشمل توجيه المتعلم نحو فهم حقوقه وواجباته، وكيفية المشاركة في المجتمع المدرسي، وتعزيز التواصل الفعّال بين الأفراد. كما يعتبر المعلم في هذا السياق مسؤولاً عن توجيه المتعلم نحو تنمية وعيه الذاتي، وبالتالي تحقيق انسجام بين الإرادة الشخصية والإرادة العامة.

علاوة على ذلك، يلعب المعلم دوراً في تعزيز الصلة بين المتعلم وأسرة المتعلم. حيث يُعتبر المعلم عنصراً أساسياً في تنسيق العلاقة بين الفرد وعائلته والمجتمع الأوسع، مما يفرض عليه مسؤوليات إضافية تجاه الأسرة وحقوق المتعلم. حيث يتعامل المعلم مع البيئة الأسرية كجزء من العملية التعليمية، ويُسهم في تأهيل المتعلم ليكون جزءاً فاعلاً في المجتمع.

5-2- انعكاسات الحرية الهيجلية على أدوار المتعلم:

تضع الفلسفة الهيجلية المتعلم في مركز العملية التعليمية. وفقًا لهذا الفكر، لا تكون غاية التعليم محصورة في اكتساب المعرفة فقط، بل في أن يصبح المتعلم ذاتاً حرة قادرة على إدراك الحقيقة بفضل استخدام العقل الجدلي الناقد. حيث يُعتبر المتعلم في الفلسفة الهيجلية هو الهدف النهائي للعملية التعليمية، والمادة المعرفية تظل وسيلة لتحقيق هذا الهدف وليس غاية في حد ذاتها. كما تؤكد الحرية الهيجلية على أهمية تطوير المتعلم وعيه الذاتي من خلال استخدام العقل النقدي الذي يساعده على إدراك نفسه والعالم من حوله. حيث يتيح هذا العقل الجدلي للمتعلم أن يصل إلى مستويات أعلى من الوعي الذاتي، مما يُمكّنه من فهم الحقائق والتفاعل معها بطرق تنمي استقلاليته. وبهذا يرى هيجل أن العقل هو الذي يُشكّل التاريخ ويحرر الأفراد من قيودهم، ويؤكد أن الحقيقة لا تُعطى للمتعلم جاهزة، بل يجب أن يبنيها بنفسه من خلال تجاربه الفكرية.

فمن خلال هذه الرؤية، يصبح المتعلم قادراً على فهم سيرورة التاريخ والعالم بناءً على تحليله النقدي والفلسفي، مما يعزز قدرته على اتخاذ قرارات واعية ومرتكزة على قاعدة من المعرفة الذاتية. وبهذا تكون العملية التعليمية هي عملية كشف تدريجي للمعرفة عن طريق التفاعل المستمر مع الأفكار والتحديات التي تواجه المتعلم في مسيرته.

5-3- انعكاسات الحرية الهيجلية على استراتيجيات التدريس:

تنعكس الحرية الهيجلية على استراتيجيات التدريس من خلال التأكيد على أهمية استخدام أساليب تُعزز التفكير النقدي والحرية الفكرية لدى المتعلمين. ويؤكد هذا التوجه على مبدأ الانتقال التدريجي من المجهول إلى المعلوم، ومن البسيط إلى المعقد، ومن السهل إلى الصعب، ومن الكل إلى الأجزاء. ممايساهم في توجيه المتعلم نحو تحقيق المعرفة بشكل تدريجي، حيث يبدأ من نقطة انعدام المعرفة ويصل تدريجياً إلى إدراك أعمق للموضوعات.

يتجسد هذا التوجه في استراتيجيات تدريس تعتمد على مراحل متتالية من الفهم، تتضمن التفاعل مع المادة التعليمية من خلال التعلم النشط، والتفكير النقدي، والمشاركة الفعّالة في العملية التعليمية. كما تُعتبر استراتيجيات التدريس التي تعتمد على الفلسفة البنائية (مثل التعلم التعاوني والتعلم القائم على المشاريع) هي الأكثر توافقاً مع الفكر الهيجلي، لأنها تشجع على بناء المعرفة من خلال تفاعل المتعلم مع العالم من حوله. وتهدف هذه الاستراتيجيات إلى تحقيق حرية المتعلم وتطويره كذات مستقلة، حيث يُشجع على العمل الجماعي، والتعلم عن طريق الأقران، مما يُعزز من قدرته على التفاعل مع أفكار الآخرين وبناء أفكاره الخاصة. وفي هذا السياق، يُعد المعلم مُيسراً للعملية التعليمية، يساعد المتعلمين على بناء المعرفة بأنفسهم باستخدام وسائل وأدوات متعددة.

5-4- انعكاسات الحرية الهيجلية على المناهج الدراسية:

تتجسد الفلسفة الهيجلية في المناهج الدراسية من خلال التأكيد على ضرورة تربية المتعلم تربية أخلاقية وعقلية. لا تقتصر المناهج الهيجلية على تقديم محتوى معرفي فقط، بل تهدف إلى تكوين المواطن الصالح الذي يتفاعل مع المجتمع بوعي ومسؤولية. لذا، يجب أن تُصمم المناهج بحيث تعكس القيم الأخلاقية للمجتمع، وتساهم في تربية المتعلم ليكون جزءاً من حركة تاريخية أوسع تتجاوز حدود التعليم الأكاديمي.

لذا يجب أن تحتوي المناهج الدراسية وفقاً للحرية الهيجلية على معارف متنوعة، تشمل مجالات الدين، والعلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، وذلك لتعزيز تكامل المعرفة وخلق تفاعل بين هذه المجالات المختلفة. كما يجب أن تُعرض هذه المعارف بطرق تتيح للمتعلمين التعلم بشكل تفاعلي وتعاوني، من خلال أنشطة تشجع على التفكير النقدي والتحليل العميق.

كما يجب أن تكون المناهج الدراسية مرنة وتهتم بتنمية مهارات التفكير العليا لدى المتعلمين، مما يُتيح لهم إعادة بناء المعرفة واستخلاص الحقائق من خلال عمليات عقلية معقدة. بالتالي تتحقق غاية العملية التعليمية التي تقوم على تحرير المتعلم، وتمكينه من امتلاك أدوات التفكير والاستقلالية المعرفية، وبناء نظرته الخاصة نحو العالم من خلال تفاعل مستمر مع محتوى المنهج والبيئة المحيطة به.

يتضح من خلال ما سبق كيف يمكن للحرية الهيجلية أن تنعكس بشكل متكامل على أدوار المعلم والمتعلم واستراتيجيات التدريس والمناهج الدراسية، مما يعزز من فكرة التعليم كوسيلة لتحرير الإنسان وتعزيز وعيه الذاتي والاجتماعي.

نتائج البحث: في ضوء ما تقدم توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- الحرية في فلسفة هيجل مصدرها العقل ويشكِّلها العقل، وهي حرية أخلاقية وفردية أيْ تخصُّ الفرد وحده، وعلى الدولة والمجتمع المدني أن يكفلاها له.

2- حرية الروح في فلسفة هيجل ليست مفهوماً سلبياً أو لحظةً آنية عابرة فرضتها الظروف الراهنة، وليست حرية فرد واحد بعينه أو مجموعة من الأفراد، بل هي حرية الإنسان التي لا تتحقق إلا في أمد طويل عبر التاريخ.

3- إن حرية الذوات الفردية ليست منخرطةً في الوجود الواقعي فحسب بل في الثقافة وعبر التاريخ، وأن تاريخ العالم ليس سوى صراع من جانب الروح لكي تحقق غايتها، وتصل إلى المرحلة التي تكون فيها حرة، وذلك عندما تستحوذ على العالم.

4- المسيحية حققت الحرية بحسب هيجل لأنها حلت التناقضات في العالم المادي والظواهر المادية من خلال تحليلها وحل التناقضات بينها مع التركيز على جوهرها بدلاً من شكلها.

5- إن الحرية موضوع بارز في فلسفة هيجل ذو آثار وانعكاسات على جميع الأطروحات الأخرى التي تناولها هيجل في فلسفته.

6- تنعكس الحرية الهيجلية على أدوار المعلم في جعله نموذجاً للمثالية الأخلاقية. حيث يجب أن يسهم في بناء وعي المتعلم الأخلاقي والاجتماعي، مما يساعده في تحقيق حريته الشخصية ضمن إطار مصلحة المجتمع.

7- تنعكس الحرية الهيجلية على أدوار المتعلم في جعله محور العملية التعليمية التعلمية. ففي الفلسفة الهيجلية، يكون المتعلم هو الهدف النهائي للعملية التعليمية، حيث يُشجع على استخدام العقل الجدلي النقدي لفهم الحقيقة وبناء معرفته بشكل مستقل.

8- تنعكس الحرية الهيجلية على استراتيجيات التدريس في أساليب استخدامها وتطبيق خطواتها من قِبل المعلمين، وعلى استراتيجيات التدريس ذاتها. حيث تتطلب الفلسفة الهيجلية استراتيجيات تدريس تشجع التفكير النقدي والتفاعل الفعّال، مما يعزز حرية المتعلم عبر التفاعل النشط مع المحتوى التعليمي والأقران.

9- تنعكس الحرية الهيجيلية على المناهج الدراسية في فلسفة بنائها ومحتواها وأساليب عرضِ المحتوى في الكتب الدراسية. حيث يجب أن تركز على تطوير القيم الأخلاقية، وتنمية مهارات التفكير النقدي، وأن تشمل مجالات متنوعة لتعزيز التفاعل بين المعرفة والعالم المحيط.

10- تهدف المناهج الدراسية في ضوء الحرية الهيجلية إلى تربية المواطن الصالح القادر على التفاعل مع المجتمع بوعي ومسؤولية، بحيث يُساهم في حركة تاريخية أوسع تتجاوز حدود التعليم الأكاديمي.

مقترحات البحث:

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث تقترح الباحثة مايلي:

1- التركيز على قيم المواطنة والسلوكات الاجتماعية الإيجابية في العملية التعليمية التعلمية، لأنَّها وسيلة مهمة في تحقيق الحرية الهيجلية.

2- تضمين المناهج الدراسية أساليب تحقيق الحرية الهيجلية. من خلال دراسة كيف يمكن أن تؤثر الفلسفة الهيجلية في تصميم المناهج الدراسية التي تُعزز القيم الأخلاقية والنقدية، وتحفز المتعلم على بناء معرفته الخاصة بشكل مستقل.

3- الاستفادة من الفكر الفلسفي الهيجلي في أطروحته عن الحرية في إعداد وتدريب الطلبة المعلمين.

4- توظيف الفكر الفلسفي الهيجلي في مفهوم الحرية ضمن برامج إعداد وتدريب الطلبة المعلمين، بهدف تعزيز وعيهم بديناميكيات الحرية كعملية جدلية تساهم في تطوير ممارساتهم التربوية.

5- دراسة أثر الحرية في الفلسفة الهيجلية على تنمية مهارات التفكير النقدي لدى المتعلمين، من خلال تحليل كيفية تحفيز الجدل الفكري وتطوير الوعي الذاتي في العملية التعليمية.

6- إجراء بحوث تربوية معمقة حول الانعكاسات التربوية لمفهوم الحرية عند هيجل، واستكشاف تطبيقاته العملية في المناهج الدراسية وأساليب التدريس الحديثة.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

1. أنوود، ميخائيل. (2010). معجم مصطلحات هيجل. (إمام عبد الفتاح إمام؛ ترجمة). المركز القومي للترجمة، الجيزة.
2. خالدية، دريو؛ نصيرة، قادوم. (2020). دراسة كتاب: مكونات العملية التعليمية التعلمية ل"جميل حمداوي". المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر.
3. خلخال، رقية. (2022). جدلية الحرية والقانون في فكر فريدريك هيجل. مجلة العلوم السياسية. العدد 64، 267 – 288.
4. الديدي، عبد الفتاح. (1970). فلسفة هيجل. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
5. صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي. ج: 2. دار الكتاب اللبناني، بيروت.
6. عبدالسلام، نادية عبدالهادي. (2017). المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث – عرض وتحليل. مجلة كلية البنات الأزهرية. 2(1)، 137 – 225.
7. العرامي، أحمد؛ مقشر، عبد الودود. (2018). البعد الميتافيزيقي للتاريخ عند هيجل مسار الحرية موضوعاً. الآداب. 8، 5 – 35.
8. فيصل، لكحل. (2023). البعد المثالي في فلسفة التاريخ عند فريدريك هيجل قراءة تحليلية نقدية. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية. 11(3)، 21 – 36.
9. ماركيوز، هربت. (1979). العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية. (فؤاد زكريا؛ ترجمة، ط2). الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
10. محمد، محمود. (2022). التربية السياسية في فلسفة جان جاك روسو. مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية. 38(2)، 1 – 31.
11. محمد، منيرة (1993). فلسفة التاريخ عند هيجل. دكتوراه. قسم الفلسفة. كلية الآداب. جامعة دمشق. سورية.
12. محمد، منيرة. (2014). جدل الحرية والتاريخ عند هيجل. مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية. 30(1 + 2)، 507 – 545.
13. مختار، عريب. (2009). بعض المقومات لفلسفة هيجل. دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية. 9(1)، 171 – 185.
14. هيجل، فريدريك. (1996). أصول فلسفة الحق. (إمام عبد الفتاح إمام؛ ترجمة). مكتبة مدبولي، القاهرة.
15. هيجل، فريدريك. (2001). علم ظهور العقل. (مصطفى صفوان؛ ترجمة، ط3). دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
16. هيجل، فريدريك. (2006). فينومينولوجيا الروح. (ناجي العونلي؛ ترجمة). المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
17. هيجل، فريدريك. (2007). العقل في التاريخ. (إمام عبدالفتاح إمام؛ ترجمة، ط3). دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

18. Bosakova, K. Bykova, M. F. (2021). Hegel and Niethammer on the educational practice in civil society. Journal of philosophy of education. Vol. 55. N. 1. PP: 99-125.
19. Brinkmann, M. (2021). Purpose of school – A phenomenological analysis via Hegel, Langereld and Fink. Journal of Curriculum Studies. Vol. 53. N. 3. PP: 255-269.
20. Kivela, A. (2018). Toward a modern concept of schooling. A case study on Hegel. Journal of Educational Philosophy and Theory. Vol. 50. N. 1. PP: 72-82.
21. Armstrong, David. (2009). Hegel's Philosophy: A Critical Introduction. New York: Routledge.
22. Bernal, J. O. (2019). Hegel's Philosophy of Culture on Education towards Self-Actualization. International Journal of science and research (IJSR). Vol. 8. Issue. 12. PP: 744-746. Saint Louis University, Baguio city, Philippines.
23. Cook, Richard. (2007). Education in Contemporary Philosophical Thought. London: Bloomsbury.
24. Göksel, G. (2021). Kant and Hegel on Freedom. Araştırma Makalesi. 20(1), 131 - 149.
25. Hicky, D. B. (1988). Freedom and the state: A study of Hegel's philosophy of education. Master, thesis, Memorial university of Newfoundland.
26. Ng, K. (2020). Hegel’s Concept of Life: Self-Consciousness, Freedom. The Royal Institute of Philosophy. 1 - 4.
27. Stace, W. (2005). Hegel's Philosophy of Soul. 2E. Dar Al Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.
28. -Zovko, J. (2018). Hegel's concept of education from the point of view of his idea of "second nature". Journal of educational philosophy and theory. Vo. 50. Issue. 6-7. PP: 652-661.